من العيب . ثم هي لو كانت تصدر من مثل الفقير المعوز والجاهل العقيم الذهن لعذرنا اربابها او لم تكن منهم مهمة لنتكلف لها مثل هذا الفصل ولكننا على ثقة ان هذا المبدأ الذميم شائع عند كثيرين من أولي البذل بيننا على غير طريقة معينة ولا اسلوب مقبول ولهذا ظهرت مباينة لطباعهم ومؤذية لرائيها والسامع بها مسببة اشد الكره والعداء لصاحبها فكأنه بذلك قد وفر ادنى المال ليشتري به اجل العار . واذا كان هذا مما يرضاه بخلاء التجار فليس مما يرضاه اولو البذل واليسار

فوائد الغرباء

الدنيا صنع الله وحده وهي للناس جميعهم لايختص بطرف منها قوم دون قوم ولا ينفرد شعب بجهة فيها دون شعب الا اذا كان ذلك من قبيل تأثير الاقليم ووجوب اتباع الدرجة واما ما سوى ذلك من فوائد الدنيا فانها ينبغي ان تكون شائعة بين جميع الناس ينالها كل واحد منهم على حسب جهده ومبلغ تحصيله فاذا استطاع ابن مصر ان ينال بحذقه من ارض الصين ما لا يناله الصيني نفسه كان ذلك له حقاً اكيداً لانه نال ما يجب له وحصل ماينطبق على قدر كده وتدبيره . واذا قالوا ان حب الوطن من الايمان حملاً لكل انسان ان يدافع عن منزله او يحب جاره فكذلك يقال ان كره الاجنبي في بلاد معدود من الكفر لان الدنيا كما قلنا لله وهو يريدها بعدالته ورحمته ان تكون لعبيده على السواء

على ان البعض من المغالين في الوطنية بكل بلاد لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يرون ان كل صقع يجب ان يكون مخصوصاً باهله الذين القتهم الاقدار فيه سواء كانت زائدة خيراته عليهم او ناقصة دون حاجتهم وسواء امكنهم استخراجها والانتفاع بها وحدهم او لم يمكنهم . وهذا يعتبر في حد الحقيقة ظلماً واضحاً وان به وحده تعتبر الممالك المتمدنة ظالمة لسواها باحتلالها وحكمها مع انها لدى الحق عادلة محسنة لانه ليس من العدالة ان تكون ارض كذا مخصبة مقبلة واهلها لايعرفون كيف يزرعونها ويستنتجون خيراتها كما انه ليس من الظلم لو جاءها غير اهلها ليستفيدوا منها ويفيدوا . وهذه البلاد الاميريكية من اصدق الشواهد على ذلك فان اوربا لو جرت معها على موجب العدالة المزعومة الظاهرة لتركتها لاهلها لاغبياء يأكلون وحوشها وتأكلهم او يأكل بعضهم بعضاً حتى يبيدوا ولكنها جرت معها على حسب العدالة الحقيقية التي يرضاها الله والناس فنزلت فيها وانتفعت منها وهي الان لاتزال تؤوي اليها جماهير الالوف والملايين من المهاجرين الذين هم كل سكانها الحاضرين المالكين الدنيا بمحاصيل ارضهم بحيث كان الواحد منهم نافعاً لاحاد من سائر الارض ولو لا هذا الظلم الظاهر لكانت حال الدنيا في اشد من الظلم الحقيقي المؤثر

ثم ان هجرة الناس من بلاد الى بلاد اذا كانت تفيد اكثار المنافع للجميع فانها قد صارت تفيد أيضاً نقل العادات والصناعات من موضع الى موضع ومن شعب الى شعب بحيث صارت كل بلاد فيها غرباء من كل الدنيا وهي كأنها الدنيا كلها لانها قد حوت جميع صنوف اهلها وجميع صناعاتهم وطرق معايشهم فصار كل فرد فيها كأنه متنعم بكل محاسن الدنيا باسرها اذ

هذا يأخذ من ابن بلاد كذا ما يطيب له وذاك ينال من عادة بلاد كذا ما يرضيه وبهذا سادت الرفاهية والنعمة بين الجميع . وما نظن ان البلاد الاميريكية مفقودة الان من اسعد بلاد الله الا لان فيها كل رعايا الله بكل عاداتهم واخلاقهم

ولقد نشرت احدى الصحف الافرنجية فصلاً بهذا المعنى يجدر بنا وبكل شعب تكثر الغرباء بينه ان يعتبره ليخف بينه مقام الغريب عنه ويعتقد انه نافع له وانه ليس في وجود الغريب من ضرر على اي بلاد

فلقد ذكرت انه لو اتفق لاقدر الله ونشبت حرب بين فرنسا وانكلترا فان شريعة الحرب تقضي على النزلاء الفرنسويين في انكلترا بان يفارقوها مع سفيرهم في مدة يومين ولكنهم لايكادون يفارقونها حتى يشعر الانكليز باشد الشقاء وليست شدة الشقاء عندهم الا امتناع الزخرف والرفاهية وحسن الخدمة والذوق في التدبير وقد ذكرت من بيان ذلك ان تسعة اعشار المطاعم في لندن تقفل ابوابها في الحال لانه ليس في لندن من يستطيع اجادة الطبخ وتحسينه غير الفرنسويين وهي حالة يتضايق منها الكل من الملك ادورد الى السوقي الحقير اما اختصاص الفرنسويين بذلك دون الانكليز فهو لان الانكليز قد وجدوا الفرنسويين اسبق منهم في هذه الحلبة فتركوا هذه الصناعة منتفعين بها من وجردهم بينهم وانصرفوا لغيرها من الصناعات التي يتقنونها اكثر منهم فضلا عن ان للفرنسويين بهذه الصناعة اسراراً منتشرة بينهم على الخصوص وقل ان يهتم بتعلمها سواهم وهم لا يعلمونها لاحد

هذا من جهة الطعام الذي يتناول الرجال والنساء والاطفال واما من

جهة النساء انفسهن فان ضيقهن يكون اشد بكثير لان جميع محاسن الملابس تنقطع من بينهن جملة وتصبح مثات الدكاكين الملأى بها وهي مقفرة كل الاقفار وكفاك بذلك مضايقة ما بعدها مضايقة للنساء لانه متى امتنع حسن الملابس عن المرأة فاي شيء بعده يرضيها . ثم ان هذه المحاسن لا تمتنع عن الملابس فقط بل ان امتناعها يتناول النوادي التي يخدمها الفرنسويون والملاعب التي يمثلون بها ويعزفون بانا شيدهم فيها . وعلى الجملة فانه يمتنع بذهابهم كل حالة يسر فيها بحسن الذوق والخدمة والتدبير

ثم ان الفرنسويين لا ينفردون بهذا الامتياز وان كانوا فيه اظهر من سواهم بل ان سائر الغرباء لو فارقوها لنال انكلترا من فرقتهم شيء من العناء والتعب فان الالمانيين لو هجروها لقل عندهم كتاب التجارة والمراضع والممرضات والخادمات . وكذلك لو فارقها الاسوجيون والنروجيون فان صناعة السفن وكل ما يتعلق بها من نقل وشحن يبطل تقريباً ويصيب انكلترا من ذهابهم ضرر لا يمكن ان يرتد الا بعد زمن . ومثلهم الايطاليون والسويسريون وكل الاجناس الغريبة في انكلترا وذلك لان جميعهم يحتلون مراكز قد اختصوا بها من ازمان طويلة ولا سبيل للاستغناء عنهم فيها . ولهذا قالت تلك الجريدة ان معاداة الامم بعضها مع بعض قد اخذ يقل بالتدريج لهذا السبب عينه وان عدم انتشاب الحروب بين الممالك المتمدنة انما كله مبني على هذا القصد لان كل مملكة لها من غير ابنائها اعضاء لا يحي بدونهم جسمها . ونحن اذا اعتبرنا حالة بلادنا المصرية او بلادنا الشرقية كلها لوجدنا هذا الشأن صادقاً فيها اكثر من الجميع لانه لو فارقنا جنس واحد من اجناس الاجانب النازلين بيننا لشعرنا في الحال بنقص عظيم فينا لان

كل غريب في بلادنا يحتل مركزاً لا يحتله سواه ونحن نستفيد من مجموع هذه الحالات فائدة كبرى لا نشعر باهميتها الا حين مفارقتها بل نحن لو فارق مدننا البرابرة والصعايدة فقط لشعرنا في الحال باعظم نقص اذ تبيت منازلنا بلا خفارة وتنقطع من بيننا اكثر اعمال البناء والنقل وما شابههما. فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة لجميعنا فنعتبر كل غريب بيننا نافعاً ومنتفعاً لانه اذا كان الانكليز وهم ارقى امة في الارض يعترفون بانهم يتضايقون جداً لو فارقهم بعض الغرباء مع انهم بحذقهم يستغنون عن الجميع فما يكون القول بنا ونحن لا نستطيع صنع ابرة او جدل خيط

الام

في الحجرة امرأة تتطلع الى السماء وقد عقد العرق البارد تاجاً من اللؤلؤ على جبينها وسرى الالم مع الدم في عروقها فلا مغرز ابرة في جسمها الا وهي تشكو فيه وجعا ولا دقيقة تمر بها الا وتخشى فيها على حياتها جزعا تحاول الاستنجاد واني المنجد وقد غاص الصوت في اعماق الصدر فلا يسمع وتبسط يدها في الفراغ المطيف بها ثم تقبضها كأنها الهابط في الجب يتلمس الجذع شفيعاً للخلاص ولكن من يشفع . ثم تنتصب قائمة ثم تقع وقد تولاها اغماء تصبح فيه والاموات سواء ثم تتنابها آلام جديدة اشد من الاولى توقفها هنيهة على عتبة الابدية فلا تعود منها وينتهي عذابها الا بصوت

يسمع من بين جنبيها وهو هتاف النصر الصادر من النفس المتعارفة مع الوجود للمرة الاولى . فيطفح وجه الوالدة بشراً عند سماع ذلك الصوت ويعقب النزع الاليم سكينة كلها سرور وانتباط . ذلك انها انتجت للحياة ولداً هو ثمرة الحب الذي غرسته مع صفيّ فؤادها في رياض الهناء وجنان النعيم . وكأني بالطبيعة صاحبة هذا الابداع في نظام الكائنات تريد بان اقدس مظاهر الامومة واطهر مخلوقات الارض وهو الطفل يرد حوض هذه الحياة بين اجل لذات الالم والوجع . اترى كيف ان الصاعقة متى انقضت على شجرة تركت فيها من اثرها وجعلتها مقدسة كذلك مبدع هذا الكون حين يطل على المرأة وهي تبدع في دورها وتبرأ مخلوقاً جديداً يصعقها في ادق ذرات حياتها لتحتفظ بذكر تلك الصدمة الهائلة العلوية . وتصبح الوالدة من ذلك الحين وهي قد عقدت مع وليدها عهداً وثيقاً من الحب فلا تحبه لاجل ما احتست بسببه من كؤوس الحب الصافي وما ابتنت له من قصور الآمال وما تلذذت به من حلو الاماني بل لاجل ما قاسته في ولادته ووضعه من الاوجاع والآلام . اجل انها ما تكاد تشعر بارتكاض هذه الروح الجديدة في احشائها حتى يتحول انبساط تلك الشبيبة الى انقباض وتلك البشاشة الى عبوسة وتلك الخفة الى رصانة وتعقل واذا نظرت الى عينيها وجدتهما غائصتين في بحر اللانهاية . فمن اين تأتي هذا الانقلاب العجيب ؟ ادركت انها تحمل قدراً جديداً ومستقبلاً مجهولاً وهو هذا الطفل النائم الآن في سريره والذي قد يكون شيئاً مذكوراً في مستقبل العمر اذا اسعفته الاقدار وعاونه حسن الطالع وسعد الزمان . وفوق ذلك فهو عروة وثقى تزيد في الجمع بين المرأة والرجل وتكون موضوع حب جديد لهما متى فاتهما عهد الحب وجاء شتاء